طرائق البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية

Qualitative research methods in social sciences

عيسى تواتي إبراهيم[1،*]

[1] جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)، soufistorm@gmail.com

تاريخ الاستلام:15-01-2023 تاريخ القبول: 24-05-2023 تاريخ النشر : 19-06-2023

ملخص: ازداد مؤخرا الاهتمام بطرق البحث الكيفي نتيجة لكفاءة وفاعلية أساليب المنهج الكيفي المختلفة في جمع وتحليل وتفسير البيانات وصولا إلى تقديم اضافة علمية متميزة. كما أن طبيعة الدراسات في العلوم الاجتماعية والإنسانية تقتضي اختيار الأساليب الكيفية التي يتطلب معالجتها الحصول على معلومات نوعية لا يمكن توفيرها عن طريق اللجوء إلى البحث الكمي. ويعد البحث الكيفي المنهج الأنسب الذي يعبر عن الخصائص المميزة للظاهرة الإنسانية من أجل تحقيق الموضوعية في دراسة السلوك الإنساني. على سبيل المثال فدراسة الحالة، والبحث الاثنوجرافي، والنظرية المجذرة، والبحث الإجرائي، كلها أساليب كيفية تهدف إلى محاولة الحصول عل فهم أعمق للمعاني التي تقف وراء الظاهرة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: طرق البحث؛ البحث الكيفي؛ دراسة الحالة؛ الاثنوجرافيا؛ النظرية المجذرة؛ الظاهراتية؛ البحث الاجرائي؛ العلوم الاجتماعية

Abstract: Recently, interest in qualitative research methods has increased as a result of the efficiency and effectiveness of the different qualitative methods in collecting, analyzing and interpreting data in order to provide a distinct scientific addition. Also, the nature of studies in the social and human sciences requires the selection of qualitative methods whose treatment requires obtaining qualitative information that cannot be provided by resorting to quantitative research. The qualitative research is the most appropriate approach that expresses the distinctive characteristics of the human phenomenon in order to achieve objectivity in the study of human behavior. For example, case study, ethnographic research, grounded theory, and action research are all qualitative methods aimed at trying to obtain a deeper understanding of the meanings behind the human phenomenon.

Keywords: research methods; qualitative research; Case Study; ethnography; rooted theory; phenomenology; action research; social sciences

*المؤلف المراسل.

1- مقدمة

البحث الكيفي عبارة عن منهجية أساسية في البحث العلمي، في مختلف أنواع العلوم. وهو يركز عادة على وصف الظواهر والأحداث، وعلى الفهم الأعمق لها. فبينما البحث الكمي يركز على التجريب، وعلى الكشف عن السبب أو النتيجة بالاعتماد على المعطيات العددية. أما مشكلة البحث، أو السؤال المطروح في البحث الكيفي، هي مشكلة أو هو سؤال مفتوح النهاية، يهتم بالعملية والمعنى والدلالات أكثر من اهتمامه بالسبب والنتيجة.

إضافة إلى ذلك، يقوم معظم البحث الكيفي على معرفة تفسيرية حيث ينظر إلى الحقيقة الاجتماعية باعتبارها مجموعة من المعاني يكونها الأفراد الذين يشاركون في هذه الحقيقة. حيث يُكوِّن كل عضو من الأعضاء المشاركين في هذه الظاهرة معنى مختلفا عن غيره. ومن أهم أغراض البحوث الكيفية اكتشاف طبيعة هذه المعاني. والطريقة الأولية في الاستقصاء تقوم على دراسات ميدانية متعمقة لبعض جوانب الظاهرة والتي يطلق عليها عادة "حالات".

يختلف الاستقصاء الكيفي عن الطريقة الكمية في دراسة الظاهرات الاجتماعية والسلوكية في أنها ترفض اعتبار أن أغراض وطرق العلوم الاجتماعية هي نفسها أغراض وطرق العلوم الطبيعية أو الفيزيائية. إذ تؤمن البحوث الكيفية بأن السلوك الإنساني مرتبط دائما بالسياق الذي حدث فيه، وأن الواقع الاجتماعي مثل الثقافات والموضوعات الثقافية، والمؤسسات، وغيرها، لا يمكن خفضه إلى مجموعة من المتغيرات بنفس الأسلوب الذي يحدث في الواقع الطبيعي.

وهناك عدة طرق واستراتيجيات للقيام بالبحث الكيفي تختلف باختلاف الهدف منها دراسة الحالة والأثنوجرافيا والنظرية المؤسسة وغيرها.

2-الأسس التاريخية والفلسفية للبحث الكيفي:

تعود بداية البحوث الكيفية للأسلوب الذي استخدم من قبل علماء الاجتماع والأثنوجرافيا في دراساتهم لبعض الظواهر الاجتماعية وتفسيرها، ثم تزايد استخدامه في العقود الأخيرة في البحوث النفسية والتربوية، وذلك كرد فعل للبحث التربوي الكمي، حيث يرى البعض أن البحث الكمي غير قادر على توفير المعرفة والتفسيرات المعمقة في المجال النفسي والتربوي؛ كونه يركز على الأساليب والإجراءات أكثر من تركيزه على النتائج (الحاج، 2019، 47).

تتفق أدبيات البحث العلمي على وجود أربعة نماذج بحثية رئيسة يُمكن للباحث في العلوم الإنسانية تبنيها واتباعها لإجراء بحثه. وتتمثل هذه النماذج في: النموذج الوضعي Positivism، والنموذج التفسيري Interpretivism، ونموذج نقد النظرية Critical Theory، والنموذج البراغماتي Pragmatism. والبحث الكيفي انبثق من النموذج التفسيري، كردّة فعل على البحث الكمي المنبثق من النموذج الوضعي. والنموذج التفسيري يفترضُ أن هناك أكثر من وجود (عَالَم) سوف يقوم الباحث بكشف مضامينه المختلفة خلال البحث؛ لذلك لا يمكن للباحث تحديد وفهم السلوك الإنساني من خلال العوامل الخارجية فقط؛ ولكن تحديد السلوك الإنساني وفهمه يتشكلُ من خلال المعاني والمفاهيم التي يملكُها الناس حول الوجود الذي يعيشون فيه (الفقيه، 2017، 357).

من جهة أخرى، ترتكز فلسفة البحوث الكيفية على أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يمكن فصله عن البيئة التي يعيش فيها وهو ما يسمى بالوجود الفلسفي أنطولوجي Ontology . كما لا يمكن فصل سلوكه عن

عاداته وتقاليده وهو ما يسمى بالقيم الفلسفية اكسيولوجي Axiology؛ ويعد الباحث محور أساسي في عملية البحث ويعتبر أداة من أدواته وهو ما يسمى بالمعرفة الفلسفية ابستمولوجي Epistemology (القحطاني، 2017، 20).

3-مفهوم البحث الكيفي:

اتخذ البحث الكيفي أسماء عدة، منها أنه البحث الطبيعي، حيث أنه يهتم بدراسة الظواهر في سياقها الطبيعي. ويسمى أيضا البحث التفسيري، لأنه لا يكتفي بالوصف فقط بل يتعدى ذلك إلى التحليل والتفسير. كذلك فإنه قد يسمى العمل الميداني، خاصة في مجال دراسات علم الإنسان. ويسمى أحيانا في هذا المجال البحث الاثنوغرافي (غباري وأبو شندي وأبو شعيرة، 2015، 33).

"هو البحث الذي يعتمد على دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية باعتبارها مصدرا مباشرا للبيانات، بحيث يتم عرض البيانات بطريقة وصفية تستخدم الكلمات والصور ونادرا ما تستخدم الأرقام. وفي هذا النوع من البحوث لا يمكن تحديد مشكلة الدراسة بوضع الفرضيات مسبقا، بل يتم وضع الافتراضات والاستنتاجات أثناء عملية جمع البيانات، وقد تتغير تلك الاستنتاجات من خلال بيانات لاحقة" (عباس ونوفل والعبسي وأبو عواد، 2014، 71).

يعرفه (Zikmund, 2000) بأنه "نوع من البحوث العلمية يقوم على دراسة وقراءة البيانات والأحداث بأسلوب غير كمي، بحيث لا يتم تحويل البيانات إلى أرقام كما في حال البحث الكمي، و انما يتم الحصول على النتائج من واقع ملاحظة وتحليل الأحداث والمواقف والوثائق والاتصالات اللفظية وغير اللفظية" (مذكور في: القحطاني، 2017، 19)

يرى العبد الكريم (2012، 89) البحث الكيفي" بأنه منهجية بحث في العلوم الاجتماعية، تُركز على وصف الظواهر والسعي لتحقيق فهم أعمق لها، من خلال المنحى الاستقرائي التفسيري للمعلومات التي تجمع في السياق الطبيعي للظاهرة."

أما قندلجي والسامرائي (2009، 57) يعتبران البحوث الكيفية "نوع من البحوث العلمية، التي تفترض وجود حقائق وظواهر اجتماعية يتم بناءها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركة في البحث."

مما سبق يمكن أن نقول أن البحث الكيفي يركز على حدوث الظاهرة النفسية في سياقها الطبيعي ويتناولها بالدراسة العميقة التي تفسر العلاقات المعقدة في الظاهرة محل الدراسة؛ ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الحصول على البيانات والمعلومات بطرق محددة ويتم تحليلها، وتفسيرها باتباع المنهج الاستقرائي أي الانتقال من الجزء إلى الكل.

4-خصائص البحث الكيفي:

تتحدد خصائص البحث الكيفي حسب رجاء محمود أبو علام (2006) فيما يلي:

- التصميم الكيفي كلي، فهو ينظر إلى الصورة الأكبر، أي الصورة بكاملها، ويبدأ ببحث عن فهم الكل.
- ينظر التصميم الكيفي إلى العلاقات بداخل النظام، أو الثقافة.
- يشير التصميم الكيفي إلى الأمور الشخصية، المواجهة والمباشرة.
- يركز التصميم الكيفي على فهم الوضع الاجتماعي ولا يطالب بالضرورة بعمل تنبؤات عن هذا الوضع.
- يتطلب التصميم الكيفي أن يقيم الباحث طوال بحثه في موقع البحث.
- يتطلب التصميم الكيفي استغراق وقت في تحليل البيانات مساو لوقت جمع البيانات.

- يتطلب التصميم الكيفي أن يكون الباحث هو أداة البحث، وهذا يعني أن الباحث يجب أن يكون لديه القدرة على ملاحظة السلوك، ويجب أن يقوي من مهارات البحث في الملاحظة والمقابلات.
- يدمج التصميم الكيفي القرارات المقبولة المتعلقة بالمعلومات، كما أنه يهتم بالأمور الأخلاقية.
- يفسح البحث الكيفي المجال للحديث عن دور الباحث مع وصف لتحيزات الباحث ومثله.
- يتطلب التصميم الكيفي تحليلا مستمرا للبيانات. (أبوعلام، 2006، 281-282)

5-أساليب إجراء البحوث الكيفية:

تعكس الطرق الكيفية منهجًا مختلفًا في البحث العلمي عن طرق البحث الكمي. على الرغم من أنهما متشابهين من الناحية الإجرائية، إلا أن الأساليب الكيفية تعتمد على نوع من البيانات مختلف كالنصوص والصور، ولها خطوات فريدة في تحليل البيانات، كما تستند إلى تصميمات متنوعة. ويتطلب الجانب المنهجي لدراسة تنتهج الأسلوب الكيفي توضيحات بشأن الغرض من البحث الكيفي، مع ذكر تصميمات محددة، والتركيز على دور الباحث في الدراسة، وكذلك الاعتماد على قائمة واسعة من مصادر البيانات. بالإضافة إلى استخدام أساليب خاصة لتسجيل البيانات وتحليل المعلومات، والإشارة إلى طرق توثيق السلامة المنهجية أو الدقة المطلوبة لجمع البيانات (Creswell & Creswell, 2018, 254).

1.5- دراسة الحالة:

دراسة الحالة استراتيجية من استراتيجيات البحث الكيفي، وهي عبارة عن فحص دقيق وعميق لوضع معين أو حالة فردية، أو حادثة معينة، أو مجموعة من الوثائق المحفوظة، فالفكرة الأساسية في دراسة الحالة هي أن تتم دراسة حالة واحدة وربما عدد من الحالات بشكل مفصل ودقيق وباستخدام كافة الوسائل المناسبة، وقد يكون هنالك تنوع في أهداف أو أسئلة دراسة الحالة إلا أن الهدف العام هو الوصول إلى فهم أعمق لحالة معينة ، قد تكون لفرد أو أفراد أو فصل معين في مدرسة، أو نحو ذلك، وتكون دراسة الحالة في وضعها وسياقها الطبيعي، دون الانشغال بتعميم النتائج على الحالات الأخرى (غباري وآخرون، 2015، 37).

وعموما، تكون استراتيجية دراسة الحالة هي المفضلة عندما تُطرح الأسئلة من نوع "كيف" أو "لماذا"، وعندما لا يملك الباحث سيطرة كافية على الأحداث، وكذلك إذا كان التركيز على ظواهر حديثة تقع ضمن سياق الحياة الواقعية (Yin,2003). يرى كل من قندلجي والسامرائي(2009) أنه من الممكن أن تكون طريقة دراسة الحالة مفيدة وناجحة لمشكلة أو موضوع معين، أكثر من أية طريقة أخرى. وقد تكون البيانات والمعلومات المُجمعة عن هذه الطريقة لم يكن ممكنا الحصول عليها بطريقة أخرى من طرق البحث. كذلك تستخدم طريقة دراسة الحالة كأساس لمزيد من البحوث. ويضيف الباحثان على أن دراسة الحالة قد تُستخدم كوسيلة لجمع البيانات والمعلومات في دراسة وصفية. كذلك يمكن تعميم نتائجها على حالات أخرى مُشابهة.

وتبرز أهمية طريقة دراسة الحالة في كونها تساعد الباحث في الحصول على المعلومات الأساسية التي يمكن الاستفادة منها في تخطيط الدراسات الرئيسية في العلوم الاجتماعية وتوفر معلومات متعمقة وتبين المتغيرات والتفاعلات التي يتطلب دراستها شمولية أكثر. وعلاوة على ذلك فإن المعلومات المتوافرة عن الموضوع تقود في معظم الأحيان إلى التوسع في مجال البحوث، وخلق الرغبة في التطرق إلى بحوث جديدة، وفي تكوين فرضيات لدراسات أخرى في المستقبل، وتوضيح التأثيرات المختلفة للمتغيرات بصورة أكثر وضوحا من مجرد التحليل الكمي

لها، بإعطاء تفسير واضح للنتائج، وربطها بالعوامل المختلفة التي أدت إلى النتائج الحالية (درويش، 2018، 167).

نظرًا لأن دراسة الحالة ليست منهج بحث في حد ذاتها، فالباحثون بحاجة إلى اختيار طرق لجمع البيانات وتحليلها. يمكن استخدام العديد من الطرق في بحث دراسة الحالة. وبعض من هذه التقنيات الكيفية المعروفة: المقابلات نصف الموجهة، والملاحظة المشاركة والمذكرات. وبيانات دراسة الحالة يمكن الحصول عليها من خلال المستندات الشخصية (مثل الرسائل والملاحظات والصور) أو الوثائق الرسمية (مثل ملاحظات الحالة والملاحظات السريرية وتقارير التقييم). كما يمكن تحليل البيانات المُتحصل عليها بعدد من الطرق المختلفة، من بينها النظرية المؤسسة، والتحليل التفسيري. ويمكن أيضًا استخدام أشكال مختلفة من تفسير النصوص، بما في ذلك الترميز الموضوعي والتحليل الشامل (Willig, 2008, 76).

وبشكل عام، يتضمن أسلوب دراسة الحالة لظاهرة ما مجموعة من الخطوات الرئيسية وهي على النحو التالي:

أ–تحديد أهداف الدراسة: وتتطلب هذه الخطوة تحديدا لموضوع الدراسة أو الظاهرة المدروسة وكذلك تحديدا لوحدة الدراسة وخصائصها.

ب–إعداد مخطط البحث أو الدراسة: وهذه الخطوة ضرورية لأنها تساعد الباحث في تحديد مساره واتجاه سيره، حيث تمكنه من تحديد أنواع البيانات والمعلومات المطلوبة والطرق المناسبة لجمعها وأساليب تحليلها.

ج–جمع المعلومات: من مصادرها وبالوسائل المختلفة. أما أدوات جمع المعلومات في دراسة الحالة تتمثل في الملاحظة، والمقابلة، والوثائق والسجلات المختلفة...الخ.

د–تنظيم وعرض وتحليل البيانات: وذلك باستخدام الأساليب التي يرى الباحث أنها تخدم أهداف بحثه ودراسته.

هـ–النتائج والتوصيات: وفي هذه المرحلة يوضح الباحث النتائج التي تم التوصل إليها وأهميتها وإمكانيات الاستفادة منها في دراسات أخرى (عليان، 2004، 52).

2.5– الإنثوجرافيا:

أشتهر هذا النوع من البحوث الكيفية لدى علماء الاجتماع والدراسات الإنثروبولوجية، والمعنى الحرفي لكلمة الإنثوجرافيا هو "الكتابة عن الثقافة". ويهدف البحث الإثنوجرافي إلى الوصول لفهم مُعمق للطريقة التي يسلكها الأفراد المنتمين إلى الثقافات المختلفة والثقافات الفرعية في واقع حياتهم اليومية. فالإثنوجرافيين يعايشون مجتمعات بحثهم ويقومون بملاحظة وتسجيل ووصف دقيق للبيئة الاجتماعية والممارسات الثقافية التي يعيشها أفراد ذلك المجتمع (بيير وليفي،2011/2006).

وتشير (أبوعلام، 2006) إلى انتقال الإثنوجرافيا من الأنثروبولوجي إلى فروع المعرفة الأخرى، بما في ذلك التربية، حيث أضافت منظورا بحثيا جديدا يؤكد الطريقة الكلية في جمع ومراجعة البيانات، وطريقة استقرائية في تحليل البيانات. وتضيف أبوعلام بأن البحث الإثنوجرافي نموذج من نماذج البحوث الكيفية يتضمن جمعا مكثفا للبيانات، أي جمع البيانات عن العديد من المتغيرات على فترة ممتدة من الزمن، وفي وضع طبيعي. أي أن متغيرات البحث يجري استقصاؤها في الموقع الذي تحدث فيه بشكل طبيعي وأثناء حدوثها. وليس في بيئة وضعها الباحث في ظروف شديدة الضبط. ونظرا لخصائص البحث الإثنوجرافي من حيث حدوثه في موقف طبيعي، يطلق عليه أحيانا "البحث الطبيعي" أو "البحث الميداني".

ويُلخص (زيتون، 2004، 306–307) تعريف البحث الإثنوجرافي في النقاط التالية:

- يتم في مواقف طبيعية؛ لأن الباحث مؤمن بأن السلوك يتأثر تأثرا ذا مغزى بالبيئة التي يحدث فيها. وإذا أردنا فهم السلوك علينا أن ندرسه في سياقاته الفعلية.
- يسعى لفهم السلوك الإنساني دون تحكم أو ضبط؛ بل يُترك السلوك ينساب بشكل طبيعي.
- لا يعتمد على آراء مسبقة؛ بل يحاول أن يفهم ما يحدث فعلا.
- يتطلب جمعا مكثفا للبيانات.
- يقوم بدراسة حالة واحدة لمجتمع صغير، أو جماعة معينة.
- يقوم على الملاحظة بالمشاركة على نحو رئيسي حيث يشارك الباحث عدد من المُلَاحَظِين.

تمثل الاثنوجرافيا بحوثا متعددة الأدوات. حيث يستخدم الباحث الاثنوجرافي استراتيجيات منوعة لجمع البيانات من أهمها الملاحظة بنوعيها سواء كانت بالمشاركة، أو ملاحظة غير مشاركة، أو هما معا. وعادة ما تطغى الملاحظة بالمشاركة في مثل هذه الدراسات. إلى جانب الملاحظة، قد يستخدم الباحث مداخل أخرى مناسبة. وتصنف هذه المداخل الممكنة إلى ما هو لفظي، وما هو غير لفظي. أما المداخل أو الأساليب اللفظية فهى تتطلب تفاعلات بين الباحث والأفراد فى بيئة البحث. وتتضمن أدوات مثل الاستخبارات (الاستبيانات)، والمقابلات، ومقاييس الاتجاه، والأدوات السيكولوجية الأخرى . وأما المداخل أو الأساليب غير اللفظية فيقل احتمال تأثيرها فى الأنماط السلوكية التي تتم دراستها، وتشمل استراتيجيات مثل استخدام أدوات التسجيل وفحص السجلات المكتوبة (سليمان، 2014، 50-51)

إجمالا يقوم البحث الكيفي الإثنوجرافي على الأسس والافتراضات التالية:

- يتأثر السلوك بالبيئة التي يحدث فيها، والفهم الحقيقي للسلوك يتطلب فهم تلك البيئة أو السياق.
- تُجمع البيانات والمعلومات في مواقعها وسياقها الطبيعي. وتتم عملية تفسير البيانات في إطار السياق الذي جمعت فيه كما تحدث بشكلها، وفي مواقعها الطبيعية.
- تعميم التائج ليس هدفا، المهم الوصف الدقيق والكافي للموقف، والتوسع في النتائج.
- لا يفرض الباحث نظامه القيمي أو معتقداته على المواقف قيد الدراسة، أو المشاركين في الحدث. أو بعبارة أخرى ليس على الباحث الكيفي ضبط المواقف، والتحكم بها، أو إجراء أي معالجة لها.
- عملية اشتقاق الفروض والمعاني والتفسيرات للحدث أو الموقف عملية ديناميكية ومستمرة.
- ضبط المواقف ومعالجتها ليس من مهات الباحث الأثنوجرافي، كما هو الحال في البحث التجريبي.
- إدراكات الأفراد والجماعات هي الموجه الأساسي لسلوكهم نحو الآخرين.
- التفاعل ضروري بين الباحث، في الموقف أو السياق الاجتماعي والمشاركين.
- الباحث الأثنوجرافي حساس ويقظ ومنتبه لما يدور في الموقف الاجتماعي، يُدوِّن الأحداث بدقة وأمانة وموضوعية.
- تنبثق أسئلة الباحث الأثنوجرافي من عدد من المصادر، مثل: الأحداث اليومية الشائعة عند المشاركين، الأيدلوجيات والفلسفات، الخبرات والتجارب (قندلجي والسامرائي،2009، 227- 229).

يوجز (Spradley, 1980) نقلا عن أبوعلام (2006، 290- 291)، خطوات إجراء البحث الإثنوجرافي على النحو التالي:

أ- **اختيار مشروع إثنوجرافي:** ويختلف مجال هذه المشروعات اختلافا كبيرا عن دراسة مجتمع كامل معقد، إلى موقف اجتماعي محدود أو مؤسسة صغيرة.

ب- **طرح أسئلة إثنوجرافية:** يحتاج الباحث إلى أن يكون لديه مجموعة من الأسئلة لترشده فيما يسمع أو يرى وفي جمع البيانات.

ج- **جمع البيانات الإثنوجرافية:** يقوم الباحث بدراسة ميدانية لمعرفة الأنشطة التي يقوم بها الناس، والخصائص الفيزيائية للمكان. وتبدأ هذه الخطوة عادة بنظرة عامة تتضمن ملاحظات وصفية عامة. وبعدها ينتقل الباحث إلى ملاحظات أكثر تبلورا. وهنا يستخدم الباحث ملاحظة المشارك، والمقابلات المتعمقة، وغير ذلك من أساليب جمع البيانات.

د- **عمل سجل إثنوجرافي:** وتتضمن هذه الخطوة أخذ مذكرات وصور ميدانية، وعمل الخرائط، واستخدام أية وسائل أخرى لتسجيل الملاحظات.

هـ- **تحليل البيانات الإثنوجرافية:** يتبع الدراسة الميدانية دائما تحليل البيانات، مما يؤدي بالتالي إلى أسئلة جديدة وفروض جديدة، ويتبع ذلك مزيد من جمع البيانات، وتحليل أكثر للبيانات. وتستمر هذه الدورة حتى يكتمل المشروع.

و- **كتابة التقرير الإثنوجرافي:** يجب كتابة التقرير الإثنوجرافي بحيث يجلب الثقافة موضوع المشروع إلى الحياة أمام القارئ ليشعره بأنه يفهم الناس وطريقتهم في الحياة. ويتراوح طول التقرير الإثنوجرافي من عدد من الصفحات إلى مجلد أو أكثر.

3.5- النظرية المجذرة (المُؤَسَّسَة):

تم تطوير النظرية المُؤَسَّسَة (المجذرة) في الأصل من قبل اثنين من علماء الاجتماع Barney Glaser و Anselm Strauss، اللذين لم يكونا راضيين بالطريقة التي هيمنت بها النظريات آنذاك على البحث الاجتماعي. وأكدا على أن الباحثين يحتاجون إلى طريقة تسمح لهم بالانتقال من البيانات إلى النظرية، بحيث يمكن أن تظهر نظريات جديدة. وستكون هذه النظريات نابعة من السياق الذي طُورت منه، بدلا من الاعتماد على المفاهيم البنائية التحليلية أو الفئات أو المتغيرات من النظريات الموجودة مسبقًا. وشهدت هذه النظرية عدد من المراجعات حتى أن مؤسسيها أصبح لكل منه طريقته الخاصة لتطبيق أسس هذه النظرية (Willig, 2013, 212).

وتعد النظرية المجذرة أحد المناهج العلمية الكيفية، التي ينجم عن استخدامها نتائج مترابطة مع الواقع، وتقدم بحوث علمية أكاديمية رفيعة المستوى، وتستخدم في ابحاث التواصل والابحاث التعليمية والتقنية؛ كونها تهتم بالوصول الى الكيفية، وليس فرضيات يتم اثباتها كما هو الحال في المناهج والأساليب الكمية. وترجع اهمية النظرية المجذرة إلى أنها تعمد إلى مجموعة من الفئات والتصنيفات التي ترتبط فيما بينها بعلاقات تشكل اطارا متكاملا؛ لتفسير ظاهرة ما والتنبؤ بها، ويتم التوصل إلى هذا الإطار عبر جمع البيانات الكيفية، والتعامل معها بطريقة منظمة، واستنباط المفاهيم الموجودة في تلك البيانات الكيفية، وذلك بإبداع الباحث الذي يعد عنصرا أساسيا في استخدام النظرية المجذرة. إذ يحتاج الباحث دائما الى التفكير الإبداعي أثناء جمع البيانات وتحليلها، واختياره للعينة التي سيعتمد عليها. وبذلك فالنظرية المجذرة هي أسلوب إبداعي ابتكاري في اكتشاف المشكلات، وايجاد حلول عملية لها (الحاج، 2019).

و تتمثل السمات المنهجية الرئيسية للنظرية المجذرة فيما يلي:

– يحتاج الباحث للتفاعل المستمر مع البيانات. يطرح أسئلة مصممة لتوليد النظرية وربط المفاهيم. يقوم بإجراء مقارنات، ويفكر فيما يراه، ويضع الفرضيات، ويرسم أطر مصغرة لاختبار الأفكار.

– يستخدام العينات النظرية أي، اختيار الوقائع والأحداث لجمع البيانات التي توجهها النظرية الناشئة؛ عند طرح أسئلة عن البيانات، سوف يبدأ جمع البيانات التي ستساعد على سد الثغرات في صياغة النظرية.

– يستخدم إجراءات الترميز النظرية والمنتظمة لتكوين تصورات عن كيفية ارتباط الرموز الأساسية ببعضها البعض كفرضيات ليتم دمجها في نظرية.

– يطرح أسئلة حول البيانات التي تسمح لك بوصف مدى تعقيد وتنوع وطبيعة العلاقات بين المتغيرات في الدراسة (Mertens, 2010).

النظرية المجذرة هي نهج استقرائي للبحوث يركز على التفاعل الاجتماعي ويعتمد اعتمادا كبيرا على البيانات المستقاة من المقابلات والملاحظة لبناء الجانب النظري المستخرج من البيانات بدلا من اختبار إطار نظري أو وصف ظواهر إمبيرقية، ويرتبط هذا الأسلوب ارتباطا وثيقا بتدوين العمل الميداني لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا (علم الأجناس). وربما الفرق الرئيسي بينهما يكمن في أن أسلوب النظرية المجذرة أقل اهتماما بالوصف التفصيلي والتفسير الكلي للظواهر الاجتماعية الخاضعة للدراسة، بل تعتمد اعتمادا كبيرا على التمثيل المقارن (غباري وآخرون، 2015، 106–107).

يستعرض زيتون (2006) إجراءات النظرية المجذرة المتنوعة حسب تصميماتها المختلفة (المنظومي، والناشىء والبنائي)، ويخص بالذكر الخطوات الإجرائية لتنفيذ التصميم المنظومي المفصل لـ"ستروس" و"كوربين" Strauss & Corbin (1998) والمعتمد على خطوات تحليل بيانات (التشفير المفتوح Open Coding، والتشفير المحوري Axial Coding، والتشفير الانتقائي Selective Coding) نظرا لسهولة تحديدها واستخدامها الشائع:

– تقرير مدى مناسبة تصميم بحث النظرية المجذرة لمشكلة البحث، لأن هذا النوع من المنهجيات مناسب عند تطوير أو تعديل نظرية.

– تحديد اجراءات الدراسة: لابد أن يكون هناك فكرة مبدئية عن عملية اجراء البحث تبعا لمشكلة الدراسة مع امكانية تغييرها.

– البحث عن القبول والوصول: لابد من قبول المؤسسة التي سوف يشارك أفرادها في تقديم البيانات. يجب أن تكون البيانات وتحليلها مُحددة للخطوات التالية.

– التعامل مع العينة النظرية: استخدام منوع للمشاركين من فئات مختلفة (أطفال، معلمون، إداريون، عمال.) وكذلك التعدد في أشكال وصيغ جمع البيانات من خلال المقابلات والملاحظات والمفكرات غيرها. وجمع

البيانات من مصادرها أكثر من مرة من أجل تطوير النظرية.

– تشفير البيانات: تُشفر البيانات أثناء عملية تجميعها. ويبدأ تحديد فئات التشفير المفتوح، ثم تسكين البيانات الجديدة مع تشفيرها تحت فئات حتى التشبع.

– استخدام التشفير الانتقائي وتطوير النظرية: هذه المرحلة تعني ربط الفئات في صيغة تشفير ، وربما تتضمن تدقيق لصيغة التشفير المحورية وتقديمها كنموذج أو نظرية للعملية.

– اختبار صدق النظرية: بعد تطوير النظرية يتحقق الباحث من العملية التي أجريت لتطويرها وذلك من خلال مقارنتها مع العلمليات التي أوردتها الأدبيات، وكذلك من خلال صدق البيانات وموثوقيتها.

– كتابة التقرير عن بحث النظرية المجذرة: وهنا يكون التقرير مرنا في كتابته وفي تركيبه الخاص. ويتضمن المشكلة والمنهجيات والمناقشة والنتائج.

4.5– الظاهراتية (الفينومينولوجيا):

في ضوء الانتقادات المتزايدة لاستخدام طرق البحث الكمي في تناول الظواهر التربوية، من حيث فشله في تناول المتغيرات المتعددة والمعقدة التي تنطوي عليها الظواهر التربوية، بدأ الباحثون في الاعتماد بشكل متزايد على طرق البحث الكيفي بهدف الحصول على وصف أعمق وفهم أفضل لهاته الظواهر. فكان من بين طرق البحث الكيفي التي زاد التركيز عليها هو أسلوب البحث الظاهراتي (الفينومينولوجي)، الذي يُركز على وصف الظاهرة من وجهة نظر الأفراد الذين يعيشون هذه الظاهرة (غانم، 2016؛ زيتون، 2006).

ويسمى بمنهج وصف الظواهر الواقعية، ويعني ذلك دراسة ظاهرة ما. وهي طريقة لوصف الأشياء الموجودة فعلا في العالم الذي نعيش فيه. والظاهرة قد تكون أحداثا أو مواقفا أو تجاربا أو مفاهيما. وللمنهج الظاهراتي بعد فلسفي يعود إلى مؤسسها "إدموند هوسرل" Husrel، الذي عمل على تطوير فلسفة تَنْفذ إلى جذور معرفتنا وخبرتنا. وقد ذهب تحديدا إلى أن المعرفة العلمية أصبحت منفصلة عن خبرة الحياة اليومية ونشاطها. وهي المكان الذي نبعت منه تلك المعرفة أصلا، وعلى هذا، رأى أن مهمة الفلسفة الظاهراتية هي إعادة تلك الصلة. وتهتم الظاهراتية أساسا بدراسة البُنى، وبعمل الوعي الإنساني، ومسلمتها الرئيسة، هي أن العالم الذي نعيش فيه عالم مصنوع في وعينا. كما لا يمكن نكران العالم الخارجي، إلا أن العالم الخارجي لا معنى له إلا من خلال وعينا به. ولذا يتعين على الباحث أن يفهم كيف يصنع البشر من عالمهم عالما ذا معنى (كريب ، 1999، 134–135).

وتعرف الظاهراتية بأنها " الدراسة الوصفية لخبرات الأفراد مع الظاهرة ". ويعرفها " فيرونيسي " (1997 ,Veronesi) بأنها " أحد طرائق البحث الكيفي التي تصف خبرات الحياة لدى المشاركين من وجهة نظرهم وبكلماتهم الخاصة". ويقدم زيتون (2006) التعريف الإجرائي للفينومينولوجيا : " هي نوع أو طريقة منهجية فرعية من طرق البحث الكيفي ينطبق عليها المبادئ العامة للبحوث الكيفية. وتركز على دراسة خبرات الأفراد مع الظاهرة كما يعيشونها ووفقا لآرائهم. ولهذا فهي تعتمد بشكل أساسي على المقابلات الفردية مع المبحوثين. كما تركز الفينومينولوجيا في المقام الأول على التفسير وليس الوصول إلى نظريات جديدة. وترى الفينومينولوجيا أن هناك عناصر مشركة بين خبرات الأفراد يتعين على الباحث أن يقوم بتحديدها من خلال بحثه. "(مذكور في: زيتون، ، 2006، 198–199)

تبدأ دراسة الظواهر عادة بالاعتراف بأن هنالك نوع من النقص في فهمنا، وإن التنوير والتوضيح سيكون ذو فائدة. وإن منهج وصف الظواهر الواقعية لن يكون بالضرورة شروحات محددة، ولكن سيؤدي إلى نوع من الإدراك والمعرفة، ويزيد من التبصر عن موضوع البحث وعلى أساس ما تقدم فإن دراسة الظواهر أو الظاهراتية تعني الوصول إلى الحقيقة الموضوعية من خلال الواقع، حيث يصبح ما يعتقد المرء أنه واقعا، أو ما يشعر أنه كذلك. ويعني هذا أنه من غير الصواب أن نفرض نحن نظرية من الخارج عل معتقدات الأشخاص الذاتية. لذلك فإن وضع النظريات والفرضيات والقياسات قبل الدخول إلى الميدان سوف يشوه فهمنا لما يدركه الفرد الذي نقوم بدراسته ذاتيا. وينطلق هذا التأكيد عل وجهة نظر المشاركين في التفاعل الاجتماعي من فلسفة تطبق عل العلوم الاجتماعية، والتي تقول بأن الحقائق الاجتماعية لا يمكن فهمها أو إدراكها إلا من خلال معطياتها ومعانيها بالنسبة للأفراد في ذلك المجتمع (قندلجي والسامرائي،2009، 230–231)

تفترض تفترض الفينومينولوجبا حسب ما جاء به (Bradford ,1998) ما يلي :

– أن واقع كل فرد هو نتيجة التفسيرات والمعاني التي يعطيها الفرد للأحداث.

– أن لكل خبرة توجد عناصر مشتركة يشترك فيها الأفراد.

– كنتيجة لذلك يكون دور للباحث هو محاولة فهم معنى الأحداث من وجهة نظر المشاركين والسعي لاكتشاف جوهر الظاهرة الذي يشترك فيه مجموعة من الأفراد عن طريق تحديد العناصر المشتركة بين خبرات الأفراد. ويمكن عندئذ ربط النتائج التي يتم الحصول عليها من الدراسة الفينومينولوجية مع نتائج الدراسات الأخرى التي تتعامل مع نفس الخبرات أو الظاهرة. وبالإضافه لذلك يمكن إضافه المبادئ التالية :

– يجب ألا يقوم الباحث باختبار فروض خلال دراسته.

– على الباحث الا يستخدم نموذج نظري لتحديد أسئلة البحث.

– على الباحث ألا يزعم بأن نتائج الدراسة الفينومينولوجية قابلة للتنبؤ أو لتكرار "(مذكور في: زيتون، 2006، 201–202)

وللقيام بالبحث الفينومينولوجي يجب اتباع خطوات معينة هي:

– **تحديد مشكلة البحث الفينومينولوجي:** بصورة عامة يبدأ البحث الجيد بانتقاء الموضوع أو المشكلة محل الاهتمام والنموذج الفكري Paradigm Research الذي يستند إليه البحث.

– **اختيار المشاركين في البحث الفينومينولوجي:** يعتمد اختيار المشاركين في الدراسات الفينومينولوجية بصورة أساسية على أسلوب المعاينة المقصودة.

– **جمع البايانات في البحث الفينومينولوجي:** يجمع الباحث البيانات من عدة أفراد من المعتاد ويحدد خبرتهم بشأن موضوع معين. وعادة ما يعتمد جمع البيانات المقابلات الشخصية المتعمقة ، والمقابلات الجماعية المركزة.

– **تخزين البيانات في البحث الفينومينولوجي:** يتم التركيز على تخزين بيانات المقابلات باعتبارها الأداة الأساسية لجمع البيانات، ويكون ذلك عن طريق: التسجيل الصوتي، والتسجيل من خلال المذكرات الميدانية.

– **تحليل البيانات في البحث الفينومينولوجي:** في الدارسات الكيفية بشكل عام، يتضمن تحليل البيانات تقسيمها إلى أجزاء يمكن التعامل معها، والبحث عن الأنماط السائدة بها وتركيبها (غانم، 2016).

– **عرض نتائج الدراسة وكتابة التقرير:** تُعرض نتائج الدراسة في جزء خاص بها وتكون وفقا للموضوعات الأساسية التي أظهرتها المقابلات مع المشاركين. ويتضمن تقرير الدراسة توصيفا مفصلا لخبرات المشاركين ويركز الباحث بوجه خاص على جوهر هذه الخبرات والأشياء المشتركة بينهم (زيتون، 2006، 211).

5.5– البحث الإجرائي:

هو البحث الذي يعتمد على مشكلة مباشرة تواجه الباحث في ميدان العمل، فهو دراسة علمية للعمليات والطرق المستخدمة فى الميدان بهدف زيادة فاعلية هذه الطرق واكتشاف طرق جديدة أكثر ملاءمة لميدان العمل. ويعتبر البحث الإجرائي أحد أمثلة البحوث التطبيقية التي تهدف إلى اختبار الفرضيات والاعتماد على نتائج تلك الفرضيات في حل المشكلات العملية . ويتميز البحث الإجرائى بارتباط المشكلة بالباحث مباشرة، فالباحث هو الذي يشعر بوجود مشكلة، وهذا يعمل على اعطائه الدافعية في الوصول إلى حل لتلك المشكلة، لأنه يبحث عن التحسين والتطوير والوصول إلى الوضع الأفضل والأمثل في عمله (عباس ونوفل والعبسي وأبوعواد، 2014، 83).

ويورد زيتون (2004) عدة تعريفات لاقت اتفاقا واسعا للبحث الإجرائي، نجملها في أن البحث الإجرائي هو شكل من أشكال الاستقصاء المنظم، الجماعي ، التأملي، الناقد، يقوم به المشاركون في موقف اجتماعي معين؛ يهدف إلى تحسين الممارسات الاجتماعية والتعليمية، على أن يضم كل المسؤولين عن هذه الممارسات. ويضيف أنه من خصائص البحث الأدائي (الإجرائي) أنه يسعى لتضييق الفجوة بين النظرية والتطبيق. وهناك من يلخص خصائص هذه البحوث في ثلاث كلمات (بحث –أداء– مشاركة).

ويتسم البحث الإجرائي بمجموعة من الخصائص، أهمها أن البحث الإجرائي (الحاج، 2019، 121):

– بحث واقعي، يركز على مشكلات عملية تواجه العاملين، وربما تفرض عليهم مشكلات من واقع الممارسة اليومية.

– بحث محدد ومحلي يتعامل مع ظاهرة معينة، ويركز على حالات محددة في الزمان والمكان، وهو محلي من حيث اهتمام الباحثين الذي يتأثر بخصوصية البيئة والظروف المحيطة واحتياجات المجتمعات المحلية.

– يتعامل مع مشكلات تظهر في بيئات معينة وظروف محددة، وليس ظواهر واشكاليات بحثية عامة.

– بحث تشاركي، يمكن أن ينجزه باحث واحد، ولكن عادة ما ينجزه بتعاون مع زملائه، وبمشاركة المبحوثين، وفي إطار فريق عمل، وهو ما يبرز الطابع التعاوني للبحث الإجرائي.

– بحث عملي تطبيقي، مع ضرورة التمييز بينه وبين البحث العلمي التطبيقي؛ لأن التطبيق في البحث الإجرائي لا يعني تطبيق نظريات أو فحص إمكانية تطبيقها، بل يعني وضع إجراءات وتطبيقها، واستخلاص النتائج، وتوظيفها بشكل مباشر في اتخاذ القرار وحل المشكلة.

– نوع من الاستقصاء يتشخص أساسا من استقراء وملاحظة وتتبع مستمر لما يحفل به واقع النشاط في مشكلة البحث.

– هو نوع من التأمل، أي التفكير العميق وإعادة التفكير، ومراجعة الذات والحوار والنقاش الذي يرافق في العادة خطوات البحث الإجرائي.

يستند البحث الإجرائي إلى جملة من الأسس والتوجهات (قندلجي والسامرائي،2009، 242–243) هي:

– يتناول مواقف حقيقية حياتية عملية وفعلية.

– يولد عند المشاركون المعرفة بطريقة تعاونية اجتماعية يتخللها الصراحة، ويسهم كل واحد منهم بشكل فاعل وجدي في المهام المخصصة له.

– يستخدم البحث الإجرائي خبرات وقدرات متنوعة، من مجموعات المشاركين، بغرض إثراء إجراءات البحث ونتائجه.

– يقود البحث الإجرائي، من خلال العمل الجماعي، إلى بناء معانى جديدة.

– تحرك البحث الإجرائي يكون باتجاه الآتي: التخطيط، ثم الإجراء، والملاحظة، فالتقويم والنقد. وهكذا تستمر المسيرة، كمراحل حلزونية للتوصل إلى فهم معمق للموقف.

– تُقاس المصداقية والثبات فى المعرفة الناتجة عن البحث الإجرائي بمقدار نجاح الإجراءات التي نتجت عن البحث في حل المشكلة، وبزيادة تفهم المشاركين وقناعتهم بالحلول التي توصلوا إليها.

– يعتبر البعض البحث الإجرائي علما، لأنه يشترك في غرضه مع طرق البحث الأخرى بالتوصل إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة. كما أنه يلتمس التجريب كطريقة للوصول إلى الحقيقة، ويبحث عن أدلة موضوعية لدعم النتائج التي يتم الوصول إليها.

– لا يعتقد آخرون أن البحث الإجرائي علما لاعتبارات عدة، مثل: أنه لا يقدم تفسيرا سببيا لما يتم دراسته، ولا يحاول الإجابة على أسئلة محددة كتلك في البحوث التجريبية، بالإضافة إلى أنه يستخدم من قبل باحثين لا يحاولون فصل ذاتهم عما يبحثون، ويستخدم عمليات بحثية غير مقننة، بل يجري تطويرها وتعديلها كاستجابة لما يحدث أثناء عملية البحث، ولا يسعى إلى تفسير يفوق في مداه الظاهرة التي يدرسها، فهو غير معني بإعادة الدراسة للتوصل إلى نفس النتائج، أو التعميم.

تتسم البحوث الإجرائية بالديناميكية والمرونة، فليس لها إجراءات معينة يتم اتباعها وفق ترتيب محدد، ولكن هناك خطوات عامة يمكن توضيحها فيما يلي (زيتون، 2006):

الخطوة الأولى: تحديد ما إذا ما كان البحث الإجرائي هو أفضل تصميم للبحث أم لا: فالبحث الإجرائي شكل تطبيقي للاستقصاء ، وهو نافع مع عديد من المشكلات ، ويتطلب أن يكون لدي الباحث الوقت لجمع البيانات وتحليلها وتجريب عمليات مختلفة لحل المشكلة.

الخطوة الثانية: تحديد مشكلة الدراسة: إن أكثر العوامل أهمية في البحث الإجرائي هو أن الباحث يحتاج إلى حل مشكلة تتعلق بالممارسة، وهذه المشكلة ربما يواجهها أثناء العمل، وبعد عملية التأمل يكتب المشكلة أو يصوغها في شكل سؤال يحتاج إلى إجابة.

الخطوة الثالثة: تحديد المصادر التي تساعد في تحديد المشكلة: فلابد أن يكتشف الباحث – بداية – المصادر المختلفة التي تساعد على دراسة المشكلة، والأدبيات والبيانات الحالية ربما تساعده في وضع خطة أداء، وربما يحتاج إلى مراجعة الأدبيات ومعرفة ماذا فعل الآخرون لحل القضايا الشبيهة بالمشكلة والقضايا ذات الصلة.

الخطوة الرابعة: تحديد المعلومات التي يحتاج إليها: فلابد من وضع استراتيجية لجمع البيانات، وهذا يعني أن الباحث يحتاج إلى تحديد من يستطيع أن يوفر له المعلومات، وعدد الأفراد الذين سوف يدرسهم، ما نوع البيانات التي يحتاج إلى جمعها؟

الخطوة الخامسة: جمع لبيانات: وعملية جمع البيانات تأخذ وقتا وخاصة إذا تعددت مصادر جمع لمعلومات فضلا عن أن المشاركين ربما لا يملكون الوقت لإكمال الأدوات أو المقابلات. وعلى كل الأحوال يجب الاحتفاظ بالمعلومات التي تم جمعها في ملفات، ويعد اختبار مدى جودة تك المعلومات خطوة مهمة جدا.

الخطوة السادسة: تحليل البيانات: ربما يقرر الباحث الإجرائي أن يحلل البيانات بنفسه، كما يمكنه الاستعانة بالآخرين من التربويين أو محللي البيانات، والفكرة الرئيسة هي ضرورة الاحتفاظ بتحليل البيانات لمعرفة المعلومات المفيدة في تشكيل خطة إجراء.

الخطوة السابعة: تطوير خطة الإجراء : إن خطة الإجراء ربما تخبرنا بالحالة الراهنة للممارسات الميدانية، وربما تعكس الخطة المداخل البديلة في تحديد المشكلة، ولكن النقطة المهمة هي أن يملك الباحث إستراتيجية لتجريب بعض الأفكار التي يمكنها مساعدته في حل المشكلة.

الخطوة الثامنة: تنفيذ الخطة والمراجعة: في عديد من مشروعات البحوث الإجرائية فإن الباحث ينفذ الخطة ويحاول تجريب مختلف الحلول للمشكلة لمعرفة ما إذا كان لها أثر أم لا. كما يحتاج الباحث إلى مراجعة ما تعلمه من تنفيذ خطته ومشاركته الآخرين. وفي بعض الحالات لن يتحقق الحل الأمثل؛ سوف يحتاج إلى تجريب أفكار أخرى من أجل رؤية الاختلاف.

6-خطوات البحث الكيفي:

يذكر جاي واير اسيان (Airasian & Gay, 2003) نقلا عن أبوعلام (2006، 282) أن هناك ست خطوات عامة لإجراء البحث الكيفي، هي:

أ-التعرف **على موضوع لبحث:** وفي هذه الخطوة يتعرف الباحث على موضوع أو مشكلة بحث تهمه، ثم يحاول أن يضيق مجال هذا الموضوع ليصبح قابلا للمعالجة والتناول.

ب- مراجعة البحوث السابقة: يقوم الباحث بفحص البحوث الموجودة في مجال المشكلة ليتعرف على المعلومات والاستراتيجيات المهمة التي تساعده على القيام بالبحث.

ج-اختيار لمشاركين: يجب على الباحث اختيار مشاركين للحصول على البيانات. وعدد الأفراد في البحوث الكيفية عادة، عدد محدود مقارنة بالعينة في البحوث الكمية كما أنه يختارهم بطريقة عمدية (وليست عشوائية).

د-جمع البيانات: يجمع الباحث بيانات من المشاركين باستخدام المقابلات الشخصية أو الملاحظة، أو أدوات اصطناعية.

هـ-تحليل البيانات: يُفسر الباحث الأفكار والنتائج التي يحصل عليها من البيانات التي جمعها، والتحليل الكيفي تحليل ذو طبيعة تفسيرية، وليس تحليلا إحصائيا.

و-إعداد تقرير البحث وتقويمه وتفسيره: يلخص الباحث البيانات الكيفية، بحيث تتكامل عناصرها وذلك بطريقة قصصية.

7-تصميم البحث الكيفي:

بالرغم من تحرر البحث الكيفي من قيود التصميمات البحثية، إلا أنه يساير التعريف العام "للتصميم" والذي يعني: ترتيب العناصر أو التفاصيل الخاصة بعمل معين. بذلك يصبح التصميم الجيد للبحث الكيفي هو التصميم الذي تعمل فيه المكونات بصورة منسجمة مع بعضها البعض، من أجل زيادة الفعالية. وبصورة عامة يعتبر البحث الكيفي هو أي نوع من البحوث يصل إلى النتائج بطرق غير إحصائية أو كمية. بينما يسعى البحث الكمي إلى تحديد الأسباب، وتعميم النتائج، والتنبؤ؛ يسعى البحث الكيفي إلى التبصر، والفهم، والتطبيق على المواقف المشابهة؛ ومن ثمة ينتج عن التحليل الكيفي نوعا من المعرفة تختلف عن البحث الكمي (زيتون، 2004). وتُقسم تصاميم البحث الكيفي إلى صنفيين رئيسين، وهما بإيجاز:

أ-البحث الكيفي التفاعلي (Interactive): هو دراسة معمقة، باستخدام الأسلوب المباشر وجها لوجه في جمع البيانات والمعلومات من الأفراد في مواقعهم الطبيعية. ويفسر الباحث الظاهرة بالمصطلحات والمعاني التي يأتي بها الأفراد المشاركين أنفسهم (قندلجي والسامرائي،2009، 217). ويعتمد الباحث في البحث الكيفي التفاعلي على الملاحظة، والمقابلات، وتحليل الوثائق أو مجموعة منها لتوفير فهم متعمق للظاهرة موضوع البحث (الحاج، 2019، 143).

ب–البحث الكيفي غير التفاعلي (Non interactive): ويسمى بالبحث التحليلي، أو وثائقي لأنه يهتم بدراسة وتحليل المفاهيم، والأحداث التاريخية، والقانونية، وتلك المتعلقة بالسياسة العامة، من خلال تحليل الوثائق. ويقوم الباحث بتحديد الموقع أو الموضوع، وتجميع البيانات لتوفير فهم للأحداث التي من المحتمل ان تكون أو لا تكون قابلة للملاحظة المباشرة . وهناك العديد من الاستقصاءات المباشرة التفاعلية المستخدمة في البحوث الكيفية نذكر منها: الاستقصاء الاثنوجرافي، والاستقصاء الظاهراتي، والبحث الإجرائي ودراسة الحالة وغيرها (قندلجي والسامرائي،2009؛ الحاج، 2019).

8- الخلاصة:

تعتبر المقاربة الكيفية في البحوث العلمية إسهام معرفي وأساس نظري لدراسة وفهم السلوك البشري والظواهر الاجتماعية المعقدة والمتشابكة التي تستلزم من الباحث اجتهادات لغرض فهمها وتفسيرها. وما يؤكد أهمية البحث الكيفي كونه يُعد منهجية بحث علمية تركز على وصف الظواهر والفهم والأعمق لها، إذ أنه لا يكتفي بوصف الأشياء كما هي بل يسعى للحصول على فهم جوهري للصورة الكبرى التي يكون فيها ذلك الشيء. وربما احتاج البحث الكيفي إلى ملاحظة مباشرة ومدونات ومقابلات ومذكرات وتسجيلات ومحادثات، وسيطرة مسبقة على ميدان البحث. ويتضمن البحث الكيفي أنماطا وأساليبا متنوعة تختلف باختلاف أهداف البحث الكيفي، فتارة يكون هدف البحث الكيفي تأسيس نظرية، وتارة يكون الهدف جمع بيانات مكثفة عن سلوك وثقافة مجتمع ما، وقد يقتصر الهدف أحيانا على الظواهر والمواقف كما تحدث في الواقع اليومي. رغم هذا التباين في الأهداف فإن كل هذه الأنواع تتفق على أن المقصد وهو الفهم الأعمق لسلوك الإنسان وخبراته. على عكس البحث الكمي، لا يسعى البحث الكيفي لجمع حقائق عن السلوك الإنساني أو التحقق منها على ضوء نظرية موجودة مسبقا، بل يُنظر إلى سلوك الإنسان في البحث الكيفي على أنه سلوك معقد يتأثر بالبيئة بشكل كبير، لذا يجب فهمه أثناء حدوثه في بيئته الواقعية ومن خلال الأفراد الذين يقومون به، دون تجريده من سياقاته المختلفة الذاتية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

الإحالات والمراجع:

المراجع العربية:

أبوزينة، فريد كامل والإبراهيم، مروان وقندلجي، عامر وعدس، عبد الرحمن وعليان خليل. (2007). *مناهج البحث العلمي طرق البحث النوعي*، ط2.عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

أبو علام، رجاء محمود. (2006). *مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية*. القاهرة، مصر: دار النشر للجامعات.

بيبر، شارلين هس وليفي، باتريشيا. (2011). *البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية* (ترجمة هناء الجوهري). القاهرة: المركز القومي للترجمة.(العمل الأصلي طبع 2006).

درويش، محمود أحمد. (2018). *مناهج البحث في العلوم الإنسانية*. مصر: مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع.

الحاج، أحمد علي. (2019). البحوث النوعية (الكيفية). *سلسلة إصدارات مركز جزيرة العرب للبحوث والتقييم* (2)، 1-217.

عباس، محمد ونوفل، محمد والعبسي، محمد وأبو عواد، فريال. (2014). *مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس*. ط 5. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع

العبدالكريم، راشد حسين .(2012). *البحث النوعي في التربية*. الرياض: جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع.

عليان، ربحي مصطفى. (2004). *البحث العلمي: أسسه، مناهجه وأساليبه، إجراءاته*. عمان: بيت الافكار

الدولية.

غانم، عصام جمال سليم.(2016). تطبيقات منهجية البحث الفينومينولوجية في بحوث الإدارة التعليمية. *مجلة كلية التربية*، 761، الجزء2، 179-215.

غباري، ثائر أحمد وأبو شندي يوسف عبد القادر، أبو شعيرة خالد محمد. (2015). *البحث النوعي في التربية وعلم النفس*. عمان، الأردن: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع ومكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

زيتون، كمال عبد الحميد. (2004). منهجية البحث التربوي والنفسي من المنظور الكمي والكيفي. القاهرة: عالم الكتب.

زيتون، كمال عبد الحميد. (2006). *تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بيانتها إلكترونيا*. القاهرة: عالم الكتب.

سيد سليمان، عبد الرحمن. (2014). *مناهج البحث*. القاهرة: عالم الكتب.

الفقيه، أحمد حسن أحمد .(2017). تصميم البحث النوعي في المجال التربوي مع التركيز على بحوث تعليم اللغة العربية. المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية،*2*(3)، 354-368.

القحطاني، علي بن سعيد .(2017). معيار مقترح لتحكيم البحوث النوعية في المناهج وطرق التدريس. *دراسات: العلوم التربوية*، *44*(4)، ملحق (3)،17-41.

قندلجي، عامر والسامرائي، إيمان. (2009). *البحث العلمي: الكمي والنوعي*. عمان، الأردن: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

كريب، إيان. (1999). *النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هابرماس* (ترجمة محمد حسين غلوم). عالم المعرفة، 244. الكويت: المجلس الوطني للثقافة للفنون والآداب.

المراجع الأجنبية:

Yin,R.K.(2003). Case study research: Design and methods (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

Creswell,J.W., Creswell,J.D.(2018).Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches (5th ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

Willing, C.(2008). Introducing qualitative research in psychology: Adventures in theory and method (2nd ed.) Maidenhead: Open University Press.

Willing, C.(2013). Introducing qualitative research in psychology: Adventures in theory and method (3rd ed.) Maidenhead: Open University Press.

Mertens, D. M. (2010). Research and evaluation in education and psychology: Integrating diversity with quantitative, qualitative, and mixed methods (3rd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.